

■ نعت إلينا الأنباء الشاعر أحمد فرح عقيلان فاستحق منا وقفة
تأمل ورتاء، فلقد اعتدنا ألا نحتفل بمن يستحق التكريم والاحتفال إلا
بعد انتقالهم إلى الحياة الآخرة!

■ ■ ■

ولد المرحوم في مدينة الفالوجة بجنوب فلسطين عام ١٩٢٤م،
وتعلم في القدس الشريف، ونال منها شهادة الامتحان الأعلى لمعلمي
المدارس الثانوية عام ١٩٤٦م.

وقد عمل في التعليم الثانوي في الفالوجة وفي غزة وفي المملكة
العربية السعودية حيث نقل من التعليم مستشاراً ثقافياً في
الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وقد تخرج على يديه أعداد
كبيرة من الطلاب كان له

فيهم تأثير ديني
وأخلاقي. وقد عرف

فيه هذا الاتجاه

أيضاً من أحاديثه

في الإذاعة

السعودية

وبرامجه الثقافية

التوجيهية التي

واظب على تقديمها

حتى

الأيام

الأخيرة

في حياته.



د. عمر عبدالرحمن الساريسي

حقيقة

التجربة

الفنية

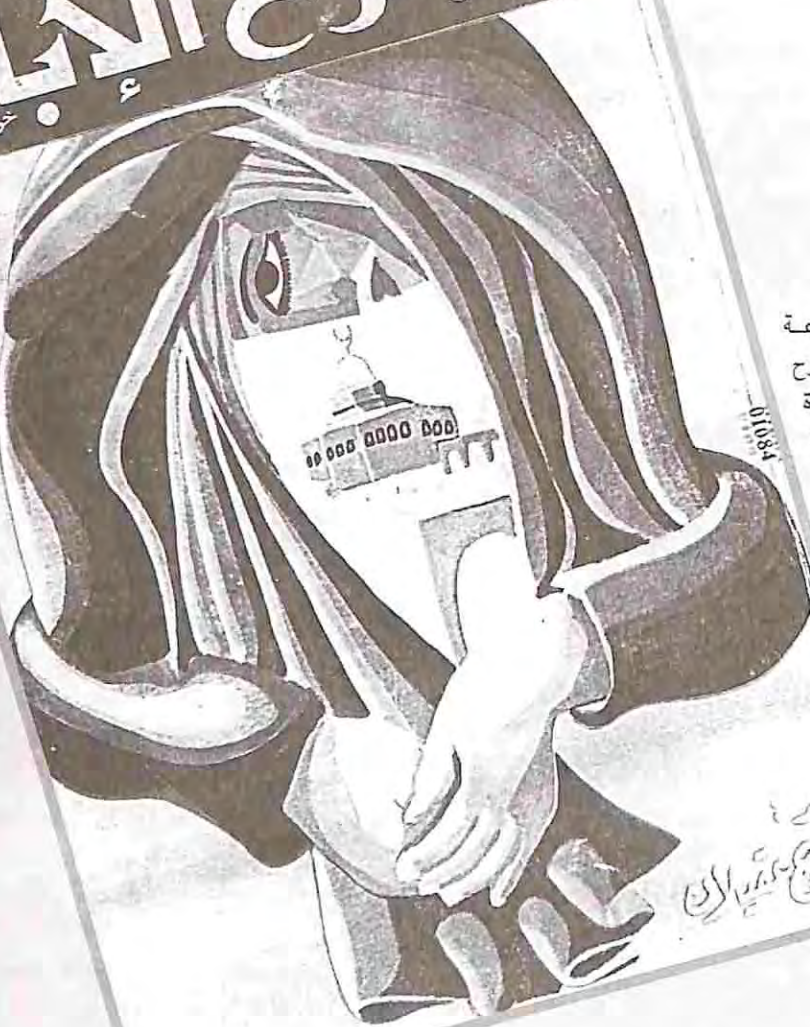
فري ديوار

« جرح الإباء »

لأحمد فرح

عقيلان

جرح الإباء



■ انطباعات أولية

وإذا نظر الباحث المدقق في المجموعة الشعرية الأولى للشاعر، وهي ديوان «جرح الإباء»، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، دون تاريخ، ولم يتح لنا الاطلاع على غيرها؛ فإننا قد نخرج ببعض الملاحظات الأولية.

وأول ما يبدو لقارئ هذا الديوان تأثر الشاعر بالقرآن الكريم - كما يبدو - اعتماده على التراث العربي التقليدي «الكلاسيكي» وهو يميل كثيراً إلى إثارة وحدة البيت أو الشطر من البيت. وإلا فلماذا يقع للقارئ أن يحفظ بعض أبيات قصائدها فور قراءتها؛ ليس في مطالعها فحسب وإنما في ثنائيا أنسجتها أو في الأواسط أو في الأواخر. وذلك مثل قوله:

يقول لنا الشهيد دعوا حطامي

فما في الموت مصري وشامي

أو قوله:

لي في الهوى قصة مكتوبة بدمي

عنوانها: أمل أفضى إلى ألم

أو قوله:

إن ألقى قذيفة من كلام

لا تساوي قذيفة من حديد

أو قوله: فلسطين الجريح مطاف روجي

أو قوله: روجي فداء عقيدتي وبلادي

أو قوله: فداء المسجد الأقصى حياتي

ثم إن قوله: «إذا ابتغيها سوى إسلامنا بدلا» مصوغ من قول الله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»، وقوله: «إن ننصر الله ينصرنا» من قوله تعالى «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» وقوله: «ليس يخشى الله إلا أولوا الألباب» من قول الله

تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء.

وكذلك يحس القارئ أن الشاعر في قوله:

يا خير مؤتمر لله منعقد

للحق منتصر للدين منتسب

وقوله:

ومن تكن في سبيل الله هجرته

فتحت إمرته جيش من الرعب

متأثر إلى حد كبير بقصيدة أبي تمام البائية في تخريب المعتصم

لعمورية موضوعاً ووزناً شعرياً، ومتأثر بحديث رسول الله عليه

السلام، في حديث «إنما الأعمال بالنيات».

وقوله في إذاعة صوت العرب: «لك يا إذاعة في القلوب مهازل»

مأخوذ من بيت المتنبي: لك يا منازل في القلوب منازل

■ حقيقة التجربة الشعرية لدى فرح أحمد عقيلان:

وإذا أنعمنا النظر في هذه الملاحظات الأولية فإنها قد تنقلب لصالح الشاعر لا عليه، وربما يتضح ذلك بشكل جلي بعد أن نتدبر عناصر التجربة الشعرية في ديوان «جرح الإباء»، ذلك الجرح الغائر ليس في قلب الشاعر فحسب بل في كيان الأمة ووجودها في هذا الزمان العاثر.

١- وأول هذه العناصر وأبعدها أثرا الإحساس بموضوع الألم. لقد أحس الشاعر بنكبة فلسطين في الثامن والأربعين إحساسا عميقا بكل ما فيه من ألم وإذلال وضيق وفقد وثكل. ولسوف يفعل هذا الإحساس فعله الكبير كما سنرى فيما بعد.

إن الشاعر بات يرى في أحداث الاحتلال نكبة كبرى: «وجاءت النكبة الكبرى بفرقتنا» وجعل يحس وكأنه في: «مستنقع الذل والتشريد والعار» ويدعو كل بني وطنه فيقول:

أخي لا تنس غـربـتنا

مع التشريد والقهر

ويقول عن الوطن:

أنا في حماء أعز من أسد

وعلى سـواءه أذل من وتد

ويستقبل العيد بقوله:

أي عيد وقد ثكلت بلادي

وفلسطين في ثياب الحداد

وينظر إلى القالوجة من بعيد ويقول:

انظر إلى تلك المدينة

ة تلك بلدتي الكليمة

ويتفاعل هذا الإحساس الشديد بنتائج الاحتلال في هذا القلب الوثاب ولا يلبث أن ينقلب غضبا وإصرارا على الخروج من الذل، ثارا، في وجه الأعداء وثورة عارمة تفور حرة كريمة لا تقبل العار، وذلك في وقت مبكر، ولم يمض على النكبة غير ثلاث سنوات. استمع إليه وهو يتأجج

يا عرب كيف ينام ثا

ر الحر وهو يرى غـريمه؟

قسما بمن جعل اليهود

د حثالة الذل الأثيمة

سأثور كالبركان يص

لي دولة الباغي جحيمه

وفي موضوع آخر يدعو:

قوموا لنعلنها شعواء مؤمنة

وفي موضوع رابع يقول:

فأعلنوها على الكفار مسلمة

تلقي بمن حرقوا الأقداس في اللهب

ذلك لأن:

الحق لا يحميه غير سيوفنا
للحق ثائرة على الأغـمـاد
ومما يلفت الانتباه أن هذا الشاعر الأبى قد فطن لضرورة نهوض العمل الفدائي في وجه الاحتلال الصهيوني بعيد النكبة مباشرة كما تقدم.
فحينما أراد المصريون نقل جثمان شهيد إلى مسقط رأسه في مصر صرخ الشاعر:

دعوني واطلبوا ثاري فإني
لقتل من استباحوا الحق ظامي
دعوني واركزوا فيها رفاتي
منارا للفدائي الهمام
إنه يرسم منهاج الفداء والبطولة والمقاومة القادمة.
وحينما يبرز العمل الفدائي أواسط الستينات يعلن الشاعر فرحه الغامر بعد أن طال الانتظار:

قد أرضع التشريد أكبادهم
حقدا على الأعداء والأدعياء
فاندفعوا كالسيل في ثورة
يدمرون الطغمة الأشقياء
وقد ذكر الشاعر كثيرا منظمة فتح وحيا عملها الفدائي ومقاومتها الباسلة منذ بزوغها عام ١٩٦٥م على الصفحات ٤١، ٦٨، ٩٦، ٩٧.

٢- أما العنصر الثاني من عناصر التجربة الشعرية فهو الفكر النير الواضح الناجم عن عمق الإحساس بموضوع الهم الجماعي في فلسطين.

إن وضوح الرؤية الذي يبرز في هذه المجموعة الشعرية في وقت مبكر من عقد الخمسينات، حيث كان ضباب الأحزاب السياسية يلف الشارع العام، من أبرز معالم هذه التجربة الشعرية الرائدة في أدب المقاومة الناطق بالعربية في العصر الحديث. نقول: وضوح الرؤية لأن الشاعر أحمد فرح عقيلان قد جأر بالنداء بالإسلام بصوت عال لا غموض فيه ولا تردد. إنه الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكا ومنهج حياة وسبيل جهاد وطريق تحرير. ففي عام ١٩٥١م يلقي في جمع من الطلبة المصريين هذه النداءات:

يا بني العرب أنتم أهل دين
وذكاء وعدة وعديد
ما بكم والمبادئ الصفر والحرر
وقرآننا منار الوجود
فاحملوا راية القيادة وامضوا
لا تبالوا بمغرض وحسود
ولكم في محمد قدوات
تحرز السبق في سجل الخلود
إنه يدعو إلى عدم الجري وراء الأحزاب الشرقية أو الغربية ففي

■ وضحت في أشعاره الفصاحة وإشرافة الكلمة وسهولتها.

ويراوح الشاعر، شأن كل شاعر، بين الجمل الخبرية والإنشائية في شعره، دون الحاجة للتمثيل، ويعنى بالموضوع عنايته بالبيت، وتكاد تظفر لكل قصيدة بوحدة موضوعية تستكمل عناصرها من أبيات القصيدة وعلاقتها العضوية بعضها ببعض. اقرأ مثلاً قصيدته في «راية التوحيد» ص ٨٨ أو أي قصيدة أخرى من هذه المجموعة لتقف على ما نقول، ولتكن جرح الإباء ص ١١ مثلاً آخر.

إن في قصائد الشاعر أحمد فرح عقيلان قدراً بارزاً من الغنائية في النظم الشعري الذي يشف عن شاعرية متقدمة منذ ما يزيد على أربعين سنة.

٤- وربما تتضح السمة الغنائية في النظم والصياغة، كما تتضح في عنصري الصورة والموسيقى المتبقيين من عناصر التجربة الشعرية في هذه المجموعة الشعرية من شعره.

فالصورة يتأملها الناظر بقلبه في قوله، في البيت الذي سقناه قبل قليل:

ترقب غدا، فالنصر ينساب من غد
ونور المنى في حافتيه يلوح
تأمل: ينساب وحافتيه ونور المنى وما فيها من ظلال وإحياءات.

وفي قوله:
فلسطين الجريح مطاف رحي
وفي أوصافه للطائف الطائف: من مثل قوله:
تبترد الشمس على مزنة
حيث النهار المشمس المطر
وتسمر الأحلام في ليلة
حيث الليالي بالهنا تعمر

٥- أما الموسيقى الشعرية فإن القارئ المتذوق يقع عليها في كل قصائد المجموعة، في بحور الوافر والبسيط والكمال مرة وفي التصريع مرة أخرى، وفي التقسيم مرة ثالثة وفي المعارضة لقصائد مشهورة في التراث رابعة، ولا نريد أن نمثل أكثر، ونكتفي من ذلك كله ببيت شعر واحد فقط:

سيروا على اسم الذي يحمي مسيرتكم
فمن سعى في سبيل الله لم يخب
فلعل هذا البيت الشعري الجميل يكون مسك الختام في هذه الكلمة، التي حاولت أن تشير إلى ما في شعر المرحوم أحمد فرح عقيلان من التزام بالإسلام فكراً وديناً وعقيدة، وسبيل خلاص وتحرير، ومن أدب يمتاح من التصور الإسلامي صوراً فنية تعبيرية موحية من خلال هذه اللوحة الغنائية المؤثرة الجامعة لكل عناصر التجربة الشعرية النافذة.

وبذلك نقف على حقيقة مكونات التجربة الشعرية ومقوماتها في مجموعة المرحوم أحمد فرح عقيلان الموسومة «بجرح الإباء»، وإن بدت للوهلة الأولى شيئاً غير ذلك.

الإسلام وحده سبيل الخلاص. وفيه وحده وحدة الأمة، وليس في دعاوي القومية والعروبة وحدها.

حسب العروبة أن يكون محمد
منها وأن لسانها القرآن
وأنة لاقية للعرب بدون الإسلام.
إن يسلك العرب عن إسلامهم رجعوا
على شمال المعالي بعض أصفار
وفي الإسلام أيضا يكون تحرير الوطن من الاحتلال:
لو اجتمعنا على الإسلام من زمن

لبات جد بني صهيون في صيب
ولقد سالت على لسان الشاعر مجموعة من الحكم والنظرات الثاقبات من وراء هذه الرؤية الواضحة في اصطناع الفكر الإسلامي سبيلاً للخلاص. استمع إليه يقول:

والصقر ليس يعيش إلا في الذرى
وفي القصائد أيضاً ملامح فكرية اجتماعية حول التعليم والمعلمين
ص ٤٢ وص ٩٠ وحول الفقر والغنى ص ٧٧ والخنافس ١٢.

٢- ويستوقف الباحث من بعد البعد الفكري في التجربة الشعرية البعد اللغوي، فلقد كان الشاعر فصيحاً بين الفصاحة في هذه المجموعة الشعرية. فلقد جمع إلى الوضوح إشراق الكلمة والتراكيب في النفس، فأنت عندما تقرأ العبارة من عباراته تشرق في نفسك وتدخل في قلبك تقبلاً واستحساناً. وهل البلاغة إلا ذاك؟ إنها السهل الممتنع، كما يقولون منذ زمن ابن المقفع والجاحظ، حتى إذا حاولها الجاهل وظن أنه يحسن مثلها فشل. ولعل هذا هو الذي أوقع في الوهم إثارة الشاعر لوحدة البيت أو وحدة شطر، كما قلنا في مفتتح هذه الكلمة:

إنه، كما يخيل إليّ، اقتدار الشاعر على خلق اتصال قوي بينه وبين القارئ والسامع. ولا يكون هذا الاقتدار إلا بعد أن يفعل الإحساس العميق بالموضوع فعله في آلية النظم وصنع الكلمات والتراكيب، لدى شاعر اكتملت بين يديه العجينة اللغوية فمضى يشكلها كيفما يشاء، فيكون من صياغاته تراكيب تسرع في الأذان، وتدخل القلوب بلا استئذان، فما رأي القارئ بقول الشاعر:

ترقب غدا، فالنصر ينساب من غد
ونور المنى في حافتيه يلوح
وقوله:

يقول لنا الشهيد دعو حطامي
فما في الدين مصري وشامي
وقوله:

إن ألفي قذيفة من كلام
لا تساوي قذيفة من حديد
(وإن كان مصدر الإعجاب في البيت الأخير ينبع من الفكرة أكثر من الصياغة).